
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

الكتابات المنجزة حول التصوف المغربي
قراءة وتقديم

لطيفة شراس
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ابن زهر- أگادير

تمهيد

يمثل التراث الصوفي المخطوط منه أو المنشور، مادة علمية ضخمة وغنية، وهو بقدر ما يعكس تطلعات مبدعيه الأخلاقية والتربوية وتوجهاتهم الفكرية، فإنه في نفس الآن يرمز بشكل غير مباشر إلى أوضاعهم المعيشة وظروفهم الاجتماعية والسياسية. ولعل هذا هو سر التقاء كل من المؤرخ والفيلسوف والأديب في العناية بهذا الخطاب الصوفي، وفي محاولة الجميع كل من موقعه إبراز وتحليل خصوصية التجربة الصوفية المغربية.

وهكذا فقد تعددت الكتابات المنجزة حول التصوف المغربي، وتنوعت بتنوع الرؤى الفكرية والاتجاهات المنهجية لمؤلفيها، كما أن مسيرة تأليفها مرت عبر مراحل متلاحقة ومختلفة.

ويمكننا أن نميز فيها بين دراسات اشتغلت بالتأريخ للتصوف، ودراسات اهتمت بتحليل الخطاب الصوفي أو تولت التنظير لمضمونه، ودراسات أدبية اشتغلت بهذا الخطاب "كتجربة إبداعية"، نثرا وشعرا، منبهرة بجمال مبناه اللغوي وبسمو معانيه الروحية والوجدانية.

في مساهمتنا هذه، سنركز على الدراسات المهتمة بالتأريخ للتصوف المغربي. كفكر وممارسة وطاقة مؤثرة في المجتمع. ميزنا فيها بين ما أنجزه الأجانب، وما أنجزه المغاربة. وسنبدأ بمنجزات الأجانب في هذا الموضوع.

ولعل أقدم الأعمال التي صيغت حول ظاهرة التصوف والولاية بالمغرب، تعود إلى الفترة الاستعمارية، أنجزت على يد باحثين أجانب وخصوصا الفرنسيين منهم. ويمكن تصنيف هذه الكتابات إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: عبارة عن كتابات وصفية اتخذت صبغة تقارير جمعت بين

المادة العلمية والأسلوب الاستخباري، ركزت على التعريف بالمؤسسة الصوفية بالمغرب. فقامت بتحديد مواقع الرباطات والزوايا، ووصفت تنظيماتها ومجالات نفوذها الروحي، وذكر رجالاتها وخدامها. وقد كان الهدف الأساسي لأولئك الباحثين، إثارة انتباه الجهاز العسكري إلى أهمية المؤسسة الدينية، والمساهمة من جانبهم في إيجاد سبل عقلانية لاحتلال بلاد المغرب، وهو ما كشف عنه صراحة ميشو بلير حين قال: "يجب الإقتداء بالأبحاث المنجزة من طرف لويس رين Louis Rinn، *Marabouts et khounes, Etude sur l'islam en Algérie.* وآخرون في الجزائر. من أجل تحقيق عمل ضخم عن الزوايا، عمل جماعي مفيد لسياستنا المحلية"[1]. ويقصد بذلك تنوير الرأي العام الثقافي وتوجيهه، وكسب تأييده للمشروع الاستعماري "الحضاري" و"التمديني".

ونذكر نماذج من هذه الدراسات:

- ✓ Bodin Marcel: « *Note sur quelques zaouias nacirias au Maroc* », archives berbères, année 1918, vol.3, pp.294-295.
- ✓ Michaux Bellaire: « *Essai sur l'histoire des confréries marocaines* », Héspéris, année 1921,T1, pp.141- 159.
- ✓ Alfred Bell: « *Le sufisme en occident musulman au XII*[e] *et XIII*[ème] », les Annales de l'Institut d'Etudes Orientales d'Alger, 1934-1935.

  La religion musulmane en bérbérie: Esquisse d'histoire et de sociologie religieuse, T1, Paris, 1938.
- ✓ George Drague (Sppilman): Esquisse d'histoire religieuse du Maroc: Confréries et zaouias, Paris , 1950.
- ✓ (Emile) Dermengheum: Le culte des saints dans l'islam magrébin, Paris, 1954.

وهناك نماذج كثيرة جدا، اكتفينا بذكر بعضها فقط. وما نود الإشارة إليه، أنه

---

[1]- La zouia d'Ahansal, Archives marocaines, année 1927, vol.27, pp: 87-113.

بصرف النظر عما ذكرناه عن الخلفيات الإيديولوجية لمثل هذه الأبحاث؛ فإن استقرار هؤلاء الباحثين مدة طويلة بالمغرب، ومخالطتهم المستمرة للسكان، مع رصد ممارساتهم الدينية، وتوفرهم على إمكانيات البحث. جعل كتاباتهم تكتسي صبغة مصدرية ذات فائدة لا يجحد فضلها. خاصة في التعريف بالعديد من الزوايا من حيث التوطين، أو من حيث تحديد مجال نفوذها الروحي. وغير ذلك من المعلومات التي تميزت بالدقة والتفصيل، بحكم الطبيعة التقريرية لهذه الأبحاث، وبالنظر إلى ما تتضمنه من إحصائيات لمختلف الطرق والزوايا والعائلات المرابطية.

الصنف الثاني: إذا غلب المنهج - الوصفي - الإحصائي على أعمال الطائفة الأولى، فقد ظهرت مع الفئة الثانية التي واكبت العملية الاستيطانية رؤية مغايرة جديدة أكثر تطورا. أساسها البحث في مكونات المؤسسات الصوفية، ورصد وظائفها الاجتماعية والسياسية. وقد تحكم في هذا التصور، من دون شك، إيمان هذه الفئة من الباحثين بأن تلك المؤسسات الصوفية ليست دورا للمرابطة الدينية وحسب، وإنما هي مؤسسات اجتماعية أيضا، تساهم في تطوير مجالها الجغرافي والبشري، ومحركا رئيسيا في الدينامية الاجتماعية والسياسية.

أنجزت أعمال هؤلاء الباحثين وفق مقاربات علمية متنوعة، إلى جانب الدراسات التاريخية، هناك دراسات إثنوغرافية، إثنولوجية وسوسيولوجية. من ذلك مثلا أعمال كل من:

- ✓ Michaux Bellaire, « L'organisme marocain », Revue du Monde Musulman, 1909, Vol IX.
- ✓ Paul Odinot, « Rôle politique des confréries religieuses et des zaouias au Maroc », Société de Géographie et d'Archéologie de la Province d'Oran, 1930, T.51, pp. 37-71.
- ✓ Jacques Berque: Structures sociales du Haut -Atlas, Puf, 1955,
- ✓ Magali Morsy: Les Ahansals, Examen historique d'une famille maraboutique de l'Atlas marocain, Paris, 1972.
- ✓ Paul Pascon, Le Haouz de Marrakech, Rabat, 1977.

وتبقى اللائحة طويلة، لكن ما يجب لفت الانتباه إليه، أنه على الرغم من أهمية هذه الأبحاث، إن على مستوى المضمون أو على مستوى المنهج. إلا أنها بدورها لا تخلو من رؤية ايديولوجية؛ ويتضح ذلك، على سبيل المثال، في كون أغلب هؤلاء الباحثين اهتموا اهتماما شديدا بعلاقة المخزن بالزوايا، لاسيما المستقرة منها بالمجال القبلي الأمازيغي وسط الجبال. فسلطوا الضوء على المظهر التنافري لهذه العلاقة، واتخذوا منه مطية لتمرير وتدعيم أطروحاتهم الاستعمارية. التي تتمحور بالأساس حول مسألة فصل وتجزيء المجتمع المغربي إلى مجموعات عربية تستقر بالسهول، فقدت شخصيتها وهويتها - حسب تعبيرهم - بسبب وجود المخزن وسهولة احتوائه لها. ومجموعات أمازيغية استقرت بالجبل بعيدة عن تأثير سلطة المخزن، متخذة من زواياها بعد تحويلها إلى مؤسسة سياسية وسيلة للحفاظ على استقلالها. وظلت تسعى دوما إلى الحفاظ على هذا الاستقلال، وعلى خصوصياتها الاجتماعية والسياسية والثقافية. وللاستدلال على هذه الأفكار يمكن العودة مثلا إلى مقالات Michaux Bellaire[2]:

إنه نفس الدافع الذي حدا بهم إلى التضخيم والتهويل من حدث تأسيس الدلائيين لإمارتهم السياسية، أي ترسيخ فكرة وجود صراع إثني بين العرب والأمازيغ. إذ اعتبره جورج دراك مثلا، بمثابة "ثورة أمازيغية كبرى" "Révolution berbère".[3] واعتبر أن العداء العرقي القديم والحقد الدفين للدلائيين الأمازيغيين اتجاه العرب، وبخاصة اتجاه السلطة المركزية السعدية، هو الحافز على نجاحهم السياسي وتوسعهم وانتشارهم. في حين عدت الباحثة ماكالي مورسي Magali Morsy ذلك التحالف القبلي الصنهاجي الذي اعتمده محمد الحاج الدلائي في تكوين إمارته، شكلا من أشكال "الوطنية البربرية " "Nation Berbère" تحت مظهر صوفي.[4]

---

[2]- Michaux Bellaire, «*Note sur les Amhouches et les Ahansals*», Archives Berbères, T2 et T3, 1917, pp. 110-111.

- «*L'organisme marocain*», Revue du Monde Musulman, année 1909, vol Ix, p.16.

[3]- George Drague, *Esquisse d'histoire religieuse*, p 131.

[4]-Magali :Morsy, «les Ahansals…», op .cit,p.33.

هذه صورة واحدة فقط ضمن صور عديدة، تعكس مدى تأثر هؤلاء الباحثين بالتيارات الفكرية التي راجت في أوروبا منتصف القرن 19م، وأوائل القرن 20م. والتي كانت تدعو إلى المحافظة على نقاوة الجنس، وإحياء التقاليد والتعلق باللغات المحلية، ومن تم جاءت استنتاجاتهم في موضوع التصوف متفقة مع تلك المقاصد. فكان التصوف في نظرهم إما بضاعة مسيحية المصدر وإحياء للمعتقدات الوثنية، وإما تعبيرا عن القومية الأمازيغية وعقلية الأمازيغ.[5]

وهو نفس الدافع الذي جعل كتاباتهم تغرق في أسلوب التقابل والتضاد: أهل السهل/أهل الجبل. ثقافة شعبية/ثقافة عالمة. إسلام حقيقي/إسلام شعبي. أولياء في المدن/صلحاء في البوادي وغير ذلك من التقابلات والتعارضات.

الصنف الثالث: كتابات أنتروبولوجية

نقصد بها أساسا الاتجاه المعروف بالنظرية الانقسامية، وبشكل أكثر تحديدا اسهامات الباحث الانجليزي إرنست كلنير Ernest gellner في أشهر أعماله Saints of the Atlas ومقاله المطول:

«Comment devenir marabout», B.E.S.M, 1ère Trimestre, 1976, pp: 3-43.

ومقال آخر قام بترجمته الأستاذان: عبد الواحد السبتي وعبد اللطيف الفلق تحت عنوان: "السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية" الوارد في مجلة كلية الآداب بالرباط، ع11، سنة 1985، ص، ص: 171-191.

يمكن تلخيص ما تقوم عليه هذه النظرية بشكل مبسط، فيما يلي:

1- وصف المجتمع القبلي المغربي بكونه مجتمعا انقساميا يتكون من فئات متداخلة فيما بينها حسب بعض المبادئ، إذ لا يعرف المجتمع الانقسامي تراتبا اجتماعيا.

2- التنظيم السياسي داخل هذا المجتمع الانقسامي يقوم على توازن القبائل وما يطبعها من تعارض وتكامل، كمبدأ أوحد للتنظيم والتسيير. حيث تعيش مثل هذه المجتمعات -في تصور هذه النظرية - في حالة انشطار واتحاد

[5]- محمد مفتاح، الخطاب الصوفي، مقاربة وظيفية، نشر مكتبة الرشاد، الطبعة الأولى، 1997، ص25.

دائمة، فشرط وجودها يكمن في صراعها سواء كان هذا الصراع ضد عدو خارجي، أو موجها إلى العدو الداخلي.

3- الحفاظ على النظام داخل هذا المجتمع، يتم بما يقوم به صلحاؤه من وظائف تحكيمية، حيث يوجد الصالح فوق كل النزاعات محايدا ومسالما يمارس مهمة التحكيم في جميع الخلافات والصراعات.[6]

وقد انبرى في الرد على أطروحات وفرضيات هذه النظرية التجزيئية وإبراز نواقصها المنهجية مجموعة من الباحثين، نذكر منهم على وجه الخصوص الباحث الأنتروبولوجي عبد الله حمودي في مقالته:

Ségmentarité, *Stratification sociale, Pouvoir politique et sainteté, Réflexions sur la thèse de Gellner* , Hespress – Tamuda , Vol. XV, 1974, pp: 147-179.

ترجم هذا المقال إلى العربية من طرف الباحثين: عبد الواحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، مجلة كلية الآداب بالرباط، ع. 18، 1933، ص، ص: 193-224.

إهتم بدراسة ظاهرة الولاية والصلاح وعلاقته بالبنية الاجتماعية المغربية، اتجاه انتربولوجي آخر يدعي أصحابه بالأنتروبولوجيين التأويليين، ويمثل هذا الاتجاه أساسا الباحث ديل إيكلمان في أبرز أعماله:

- ✓ Moroccan Islam, Tradition and society, Pilgrimage Center, University of Texas press, Austin and London, 1976.

ترجمه محمد أعفيف إلى العربية تحت عنوان: "الإسلام في المغرب" يقع في جزئين.

يؤمن أنصار الانتروبولوجبة التأويلية بأنه لا يمكن دراسة المعتقدات الدينية بكيفية منفصلة عن الواقع الاجتماعي. وهذا ما حاول إيكلمان القيام به حيث درس في البداية البنية الاجتماعية قبل أن ينتقل إلى تحليل معتقدات الصلحاء

[6]- للمزيد من التوسع في تفاصيل مبادئ هذه النظرية والكتابات المتعلقة بها، يمكن الرجوع إلى مجموعة مقالات ضمن كتاب: "الأنتروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي"، ترجمة عبد الواحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، البيضاء، 1988.

والزوايا، والمنظور الشعبي لعلاقات الإنسان بالغيب. مقتفيا في ذلك أثر منهج ماكس فيبر في إبراز التفاعل القائم بين المنظومات الثقافية والمعتقدات الدينية الذي أبرزه في مؤلفه الشهير: الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية.

الأعمال الأكاديمية التي أنجزها باحثون مغاربة:

نستهل هذه النقطة بملاحظة أساسية وتتمثل في أن الانتباه إلى القيمة المعرفية والعلمية للتجربة الصوفية بالمغرب تأخر نوعا ما مقارنة بمواضيع معرفية أخرى. ويرتبط ذلك في اعتقادنا بوجود مجموعة من العوائق، تأتي في مقدمتها مسألة الصراع بين الحركتين الصوفية والسلفية التي عرفها المغرب منذ أواخر القرن 19م إلى أواسط القرن 20م. حيث فرض هاجس "الإصلاح" على هذه الحركة أن تقطع الخيوط مع سلبيات الماضي و "بدع" القرون الماضية، فكريا واجتماعيا. مما فرض عليها أن تتخذ من الطرق الصوفية "نقيضا طبيعيا" لها بالتعبير الفلسفي، لا سبيل لإصلاحه والتعايش معه.[7] وكان علينا أن ننتظر حتى مطلع السبعينيات ليقع نوع من المصالحة مع الذات، حيث قام رائد الحركة السلفية الوطنية علال الفاسي بتصحيح مواقفه السلفية القديمة من التصوف، واعترف قائلا: "إنه مما امتاز به التصوف المغربي أن معظم رجاله ودعاته من أهل العلم بأصول الدين وفروعه. ولذلك فهم يعرفون كيف يكيفون آراءهم، وقلما تجدهم مصطدمين مع العلماء كما وقع في المشرق العربي. وما وقع من اضطهاد بعض المتصوفة إنما كان لأسباب سياسية محضة. والتصوف المغربي إلى جانب الفقه المالكي له الأثر الفعال في توجيه كل الأفكار والسياسات التي جرت في بلادنا".[8]

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الاهتمام بالتجربة الصوفية المغربية من الزاوية التاريخية على وجه الخصوص، لم يأت إلا في المرحلة الثانية ضمن مسيرة الكتابة التاريخية بالمغرب، أي مرحلة التاريخ الاجتماعي التي انطلقت تقريبا منذ أواخر السبعينيات والتي تلت المرحلة الأولى أي مرحلة "التاريخ الوطني". لأن هذا التاريخ الاجتماعي يهتم بالمجتمع وديناميته وبمعتقدات أفراده

[7]- عبد المجيد الصغير، إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 19/18م، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة الأولى، 1994، ص ص: 5-6.

[8]- علال الفاسي، "التصوف الإسلامي بالمغرب"، مجلة الثقافة المغربية، ع1، يناير- فبراير، 1970، ص46.

وتصوراتهم بالدرجة الأولى. مع الانفتاح على العلوم الاجتماعية الأخرى مثل علم الاجتماع والاقتصاد والانتروبولوجيا، أكثر من التاريخ السياسي أو تاريخ الأسر الحاكمة. فأصبح الباحث خلال هذه المرحلة شغوفا بدراسة تاريخ البنيات الاقتصادية والاجتماعية والدينية. لأن تاريخ البنيات باستثماره كل أنواع الوثيقة، يساعد على استحضار ماضي المجتمع بكل فئاته، وتاريخ البنية الدينية مثلا باعتماده أنواعا متعددة من الوثائق، من بينها أدب المناقب الذي يساهم في استحضار تاريخ الأطراف النائية والبسطاء والمهمشين ضمن المؤلفات ذات المنحى الرسمي، فهو يقترب إذن من شريحة هامة داخل الهرم الاجتماعي والسياسي، وهم الصلحاء.

كما أن دراسة المؤسسات الدينية كالزوايا، تساعد على فهم العناصر الفاعلة في ثقافة وواقع مجتمع ما؛ لأنها إلى جانب حرصها على نشر الثقافة والسلوك الإسلاميين، تحرص أيضا على تمثل قضايا وهموم المجتمع الذي وجدت فيه وتعاملت معه.

في هذا السياق إذن، أنجزت العديد من البحوث والدراسات حول التصوف. يمكننا التمييز فيها بدورها بين عدة فئات:

1- فئة ذات صبغة تركيبية.
2- فئة المونوغرافيات.
3- أعمال التحقيق.

1- الأعمال ذات الصبغة التركيبية: عالجت الظاهرة الصوفية من منطلقات أشمل وأوسع، وبارتباط مع حقبة تاريخية محددة، مع إدماجها في إطار إشكالية تاريخية عامة لإبراز خصوصيات هذه الظاهرة وأدوارها داخل المجتمع وكيان الدولة، حاملة هما منهجيا نقديا للدراسات الأجنبية. وقد دعت من خلال أعمالها إلى إلغاء ما سمته بالمناهج التأملية الفلسفية، واعتماد منهج استقراء النصوص. نذكر منها على سبيل النموذج:

- ✓ Laroui Abdellah, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain*, (1830-1930), Maspero, Paris, 1977, pp: 93-155.

- ✓ Kably Mohamed, *Société, Pouvoir, et religion au Maroc à La fin du moyen âge*, Maisonneuve – Larose, 1986.
- ✓ Mezzine Mohammed, *Le temps des marabouts et des chorfas, Essai d'histoire sociale marocaine à travers les écrits du jurisprudence religieuse.*
- ✓ محمد مفتاح، "التيار الصوفي والمجتمع في المغرب والأندلس خلال القرن 8هـ" هذه أطروحة نشرت تحت عنوان "الخطاب الصوفي مقاربة وظيفية".
- ✓ الشاذلي عبد اللطيف، التصوف والمجتمع: نماذج من القرن 10هـ/16م، منشورات جامعة الحسن الثاني، البيضاء، 1989م.

في نفس السياق يمكننا إدراج أعمال ذات صبغة تركيبية وتأريخية في نفس الآن للحركة الصوفية بالمغرب، بمناقشة الإشكاليات والقضايا المتعلقة ببنائها النظري وسياقها الفكري. من ذلك مثلا: أعمال الأستاذ عبد المجيد الصغير، إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، وأعمال الباحث عبد الله نجمي: "التصوف والبدعة بالمغرب"، "طائفة العكاكزة". ومقالته المطولة تحت عنوان: "من تاريخ التصوف المغربي في القرن 10هـ: الملامتية" في مجلة تاريخ المغرب، ع.1، 1981، ص ص.15-51. و عمل أحمد الوارث: "تصوف العوام خلال القرنين 17-18، التيار الشرقاوي نموذجا". في الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، ص ص: 237-255، إلى غير ذلك من الأعمال.

2- الفئة الثانية: أعمال أنجزت على شكل مونوغرافيات: تمثل هذه الأعمال نسبة عالية قد تصل إلى 70 أو 80 في المائة من مجمل الدراسات المنجزة حول التصوف المغربي، والسبب في هذا الإقبال يرتبط بالطبع بالتوجه الجديد للكتابة التاريخية المغربية - كما سبقت الإشارة -. أي إلى اقتناع فئة عريضة من الباحثين بالتوجه نحو البحث المونوغرافي المحدد في المكان والزمان، إيمانا منهم بأن الدراسات المجهرية بما تمتاز به من دقة وتركيز تعتبر منطلقا ضروريا نحو كتابة ما تسمو إليه المدرسة التاريخية الجديدة مدرسة الحوليات أي ما يسمى "بالتاريخ الشمولي". كما أن مثل هذه الدراسات تسمح بإصدار تأويلات وتفسيرات مقبولة وموضوعية لدحض وتفنيد ما توصلت إليه بعض الأبحاث

الأجنبية - الاستعمارية.

سنقدم لائحة لعناوين هذه الأعمال، مع تقديم ملاحظات حولها. نبدأ بأقدم مونوغرافية أنجزها محمد حجي رحمة الله عليه وناقشها سنة 1963 تحت عنوان: "الزاوية الدلائية، ودورها الديني والعلمي والسياسي" الدار البيضاء 1988.

- ✓ حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش، من خلال سبعة رحال.
- ✓ محمد مرزاق، "الشيخ امحمد بن أبي زيان وزاويته بالقنادسة"، الدور الديني والثقافي والسياسي".
- ✓ بوكاري أحمد، الزاوية الشرقاوية، اشعاعها الديني والعلمي والسياسي، (جزءان)، الدار البيضاء، 1985-1989.
- ✓ أنكام علي، إسهام في دراسة زاوية قصر تمكروت (1645-1729) رسالة لنيل د.د.ع في التاريخ، كلية الآداب بالرباط، 1991 (مرقونة).
- ✓ عبد اللطيف الشاذلي، الحركة العياشية، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1982.
- ✓ محمد المازوني: آل أمغار في تيط وتامصلوحت، رسالة لنيل دبلوم د.د.ع في التاريخ، 86-87، خزانة كلية الآداب بالرباط، (مرقونة).
- ✓ تم أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه، تحت عنوان: "الزاوية المصلوحية والمخزن: من الأصول إلى سنة 1894م" (يتناول هذا العمل بالدراسة موضوع صلات الزاوية المصلوحية بالجهاز المخزني، منذ تأسيسها في بداية القرن 16م إلى نهاية العهد الحسني في نهاية القرن 19م).
- ✓ أحمد الوارث، الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن 16م، رسالة لنيل د.د.ع في التاريخ، كلية الآداب بفاس، 1988، جزءان (مرقونة)

- الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب عين الشق بالدار البيضاء، 1998، (جزءان)، مرقونة.

- ✓ أحمد عمالك، "الزاوية الناصرية ودورها الاجتماعي والسياسي من النشأة إلى وفاة الشيخ محمد الخليفتي (1052-1325هـ/1642-1907م)، أطروحة لنيل

الدكتورة في التاريخ، كلية الآداب بالرباط، 2001 (مرقونة)، جزءان.

- ✓ نفيسة الذهبي، الزاوية الفاسية، التطور والأدوار حتى نهاية العهد العلوي الأول، الدار البيضاء، 2001.
- ✓ خديجة الراجي، "مساهمة في دراسة تاريخ الزاوية السملالية في مرحلة التأسيس 893هـ-1460م/971هـ-1564م" رسالة لنيل د.د.ع في التاريخ، سنة 92-93، (مرقونة) خزانة كلية الآداب بالرباط.
- ✓ لطيفة شراس، الحركة الصوفية في منطقة تادلا خلال القرنين 16 و17م، رسالة لنيل الدكتوراه في التاريخ، 2003-2004، خزانة كلية الآداب بالرباط (مرقونة).
- ✓ Hassan El Boudrari, *la maison du cautionnement* :دار الضمانة , بحث لنيل دكتوراه السلك الثالث، باريس، 1984.
- ✓ من خلال استعراضنا لهذه النماذج، يمكننا أن نستخلص مجموعة من الملاحظات:

1- من حيث مجال البحث: كما هو ملاحظ، هناك من البحوث من تجاوزت المونوغرافية الخاصة بزاوية واحدة، أو شخص صوفي بعينه بل حاولت دراسة هذه الحركة الصوفية في عموميتها دونما تجزيء ولا انتقاء داخل رقعة جغرافية شاسعة.

2- من حيث الزمن: هناك أعمال اقتصرت على فترة تاريخية معينة من عمر الزاوية موضوع البحث، ويدخل في هذا الاختيار اعتبار أساسي إذ غالبا ما يتحكم في هذا الانتقاء الزمني وفرة المادة الوثائقية: من ظهائر ومراسلات وغيرها. هذه المادة التي كلما ابتعدنا عن القرن 19م إلى الوراء - كما هو معروف - كلما تقلصت والعكس صحيح. في حين تتبعت بحوث أخرى مراحل تطور الزاوية منذ نشأتها إلى أفول نجمها.

3- على مستوى المضامين: هناك تنوع كبير في مضامين واشكاليات هذه البحوث، فمنها من فضلت التعريف بنماذج من أعلام التصوف والتطرق إلى أدوارهم ووظائفهم المختلفة في المناطق التي اشتهروا بها. وانكبت فئة أخرى على دراسة مؤسسة الزاوية دراسة تشريحية، حيث تطرقت إلى مختلف الجوانب المتعلقة بها، سواء من حيث تنظيمها الداخلي، أو من حيث وظائفها وأدوارها، أو من

حيث علاقتها بباقي مكونات المجتمع المحيط بها قبيلة كانت أو سلطة سياسية أو غيرها. هذه المقاربة الوظيفية عرفت بدورها اختلافا، إذ تناولت بعض البحوث مجمل الأدوار التي اضطلعت بها زاويتهم موضوع النقاش، في حين ركزت أخرى على جانب محدد منها إما الجانب الديني والعلمي، أو الجانب الاجتماعي أو الجانب السياسي.

بالنسبة للأعمال التي أولت عنايتها للجانب الديني والتعليمي للزوايا فقد فصلت في أسانيدها الصوفية، وأشياخها وأساتذتها ومشاهير تلاميذها والمادة التعليمية بها، وخلصت إلى مساهمة التصوف في الوحدة المذهبية التي عرفتها البلاد. وذلك في إطار الهيمنة التي تحققت للسند الشاذلي الذي عرف انتشارا واسعا بالمغرب، حتى كاد يصبح السند الرسمي لجل الطوائف والزوايا المغربية.

أما بالنسبة للأعمال التي ركزت على الجانب الاجتماعي، كان غرضها من ذلك وصف جانب من دينامية تطور المجتمع المغربي في فترة محددة من خلال دراسة مؤسسة الزوايا. باستخلاص بعض الثوابت في دور هذه المؤسسة، منها أن الزاوية ليست مؤسسة دينية فحسب، بل هي أيضا مؤسسة اجتماعية تقوم بدور فعال في تطوير مجالها الجغرافي إما عن طريق إقرار الرحل مثلا، أو توسيع المساحات المزروعة إلخ. وتطوير مجالها البشري كذلك، عن طريق حماية التجارة، الإطعام، التعليم، التطبيب، الإيواء وغير ذلك.

في حين ظل هاجس البحوث التي اهتمت بالجانب السياسي، هو تصحيح مجموعة من المغالطات التاريخية، والإجابة على العديد من الإشكالات التاريخية في علاقة المخزن بالزوايا.

وفي هذه الخانة من البحوث، لابد من الإشارة إلى بعض الأعمال التي تناولت إشكالية محددة في تاريخ الزاوية مثل "الشرف". نسوق نموذج مونوغرافية حسن بودراري حول الزاوية الوزانية الذي تناول فيها الترابط العضوي بين الشرف والولاية. وله أبحاث أخرى في نفس الميدان تناول في إحداها رحلة الشيخ مولاي عبد الله الشريف في تأسيس مدينة وزان «*Quand Les saints font Les villes*»، ومقال آخر تناول فيه مسألة انتقال الزعامة الروحية داخل الأسرة الوزانية عن طريق الوراثة بعد وفاة المؤسس بعنوان: «Transmission du

«charisme. نضيف في هذا الباب أيضا عمل عبد الله الحمودي حول الزاوية الناصرية:

- ✓ *Sainteté, Pouvoir et Société*, Tamgroute au XVII^{ème} dans les Annales, E. S.G N°. 3-4, 1980.

4- على مستوى المنهج: هناك مونوغرافيات تتميز بمنهج تقليدي بسيط، في حين هناك مونوغرافيات أخرى استفاد أصحابها من مناهج المدرسة التاريخية الجديدة: "أي فتح الحوار مع العلوم الاجتماعية المساعدة: السوسيولوجيا، الأنتروبولوجيا، ومناهج التحليل الأدبي السيميائي. للاستعانة بها في تحليل الخطاب الصوفي قصد فك رموز الكرامات الصوفية.

الصنف الثالث والأخير من الأعمال المغربية:

أعمال التحقيق: اهتمت بتحقيق النصوص الصوفية، وإخراجها من رفوف الخزانات العامة أو الخاصة، ولقد كان عمل أحمد توفيق في تحقيقه "التشوف إلى رجال التصوف"، عملا رائدا في هذا الباب من حيث منهج التحقيق، اقتفى أثره العديد من الباحثين

وهناك نماذج عديدة في هذا الباب نذكر منها:

- ✓ أحمد عمالك: الدرة الجليلة في مناقب الخليفة الخليفتي (امحمد)، رسالة لنيل د.د.ع في التاريخ، كلية الآداب بالرباط، 1986.
- ✓ الزبادي (محمد المنالي): سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية، تحقيق نعيمة بنونة، رسالة لنيل د.د.ع في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب بمراكش، 1996، (مرقونة)، جزءان.
- ✓ الصومعي (أحمد بن أبي القاسم)، كتاب المعزى في مناقب السيخ أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب بأكادير، 1996.
- ✓ الحوات (أبو الربيع سليمان) (1233هـ): البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية، تحقيق عبد الرحمان كظيمي.

هذه بشكل عام قراءة مبسطة وسريعة لأهم ما أنجز حول التصوف المغربي، ركزنا فيها على تقديم أهم وأبرز النماذج، كما ركزنا بالنسبة للبحوث المغربية على الأكاديمية منها.

لم نهتم - بطبيعة الحال - بالأبحاث المنجزة خارج هذا الإطار، فقد عرفت السنوات الأخيرة إقبالا لا نظير له حول التأليف في هذا المجال. وهو شيء مرتبط إلى حد بعيد بالتوجهات السياسية التي يعرفها الحقل الديني - السياسي اليوم. وهي على أي حال، تفتقر إلى أبسط مواصفات البحث العلمي، لا من حيث التوثيق ولا من حيث المنهج.